نجم الدين اربكان في ذمة الله .. مصطفى محمد الطحان

الثلاثاء 15 مارس 2011 12:03 م

15/03/2011

مصطفى محمد الطحان

وصلنا النبأ الفاجع بوفاة القائد الإسلامي الكبير نجم الدين اربكان .. زعيم حزب السعادة في تركيا.. بعد صراع مع المرض في إحدى مستشفيات أنقرة.

حاولت زيارته في المستشفى.. فلم أتمكن فقد كان الأطباء المشرفون على علاجه يمنعون زيارته..

كنت على اتصال بمدير مكتبه.. رجاء أن يخبرني بخروجه من المستشفى حتى أسارع إلى زيارته.. ولكن ذلك لم يتم، فالأعمار بيد الله. وها هو اربكان القوي في جسمه الحاسم في مواقفه، يستسلم للموت رحمه الله.

كان لابد لي من كتابة كلمة عن نجم الدين اربكان.. ولا أعتقد أن كل الكلام يمكن أن يوفي هذا الرجل حقه.. قرأت ما كتبوا عنه.. فرأيت كلاماً قصير القامة.. ممزوجا بأحقاد العلمانية.. على الرجل الذي أفنى عمره وهو ينافح عن الإسلام..

- **بدأت علاقتي بالرجل في وقت مبكر من عام 1970م، فقد زرته في بيته في أنقرة أستطلع منه أخبار الحزب الجديد الذي أسسه تحت اسم حزب النظام الوطني.. حدثني الرجل عن حزبه.. وعن استقبال الأتراك للحزب الجديد، لمبادئه وقيادته.. وحدثته عن الحركة الإسلامية في المنطقة العربية.. فوجدنا تطابقا كاملاً بين النظام والإخوان.. دون سابق اتفاق.**

منذ ذلك اليوم.. بدأ اللقاء ولم ينته إلا بوفاته رحمه الله رحمة واسعة.

لم تستطع العقلية التي تحكم تركيا في جيشها أو إدارتها أن تستوعب مبادئ حزب النظام.. فهي تتحدى في رأيهم علمانية أتاتورك.. التي يدافع عنها الجميع.. فحلّوا حزب النظام قبل أن يتم عاماً واحداً على تأسيسه بعد إنذار من قائد الجيش محسن باتور.

- **وفي عام 1972م أسس اربكان وزملاؤه حزب السلامة الوطني، الذي دخل الانتخابات البرلمانية عام 1973م، وحصل على 8% من الأصوات.. يومها بدأت النخبة العلمانية التي تتوارث الحكم في تركيا تعيد حساباتها.. وتحسب حساباً كبيراً لنجم الدين اربكان.. وتتساءل فيما بينها.. عن ماهية هذا الفارس الجديد الذي اقتحم الميدان.**

شكل اربكان في مطلع عام 1974م حكومة ائتلافية مع بولنت أجاويد رئيس حزب الشعب الجمهوري.. وهو الحزب الذي أسسه أتاتورك..

لقد كان شيئاً غريباً أن يشكل حزب السلامة (الإسلامي) مع حزب الشعب (رائد العلمانية في تركيا).. حكومة تركيا الجديدة.

في هذا الوقت تجلت عبقرية اربكان السياسية.. فقد كتب مع أجاويد بروتوكولاً من نقاط مثيرة للجدل.. حصل عليها اربكان بصبره وحنكته السياسية.. ووافق عليها أجاويد من أجل أن يشكل الوزارة في مواجهة سليمان ديميرال.

من أهم القضايا التي ذكرت في هذا البروتوكول:

- **تدريس الطلاب في المدارس الابتدائية مادة الأخلاق (يعني الإسلام).**
- **أن يدخل الطالب من خريجي معاهد الأئمة والخطباء جميع الكليات في الجامعات بما فيها كلية البوليس والكلية الحربية.**
- **وإطلاق جميع المعتقلين السياسيين من السجون (وأغلبية هؤلاء كانوا من الإسلاميين).**

- وحصل حزب السلامة على عدد من الوزارات الهامة.. بما فيها منصب نائب رئيس الوزراء، ووزارة الداخلية، والتصنيع، والزراعة، وغيرها.

من أهم مكتسبات حزب السلامة من هذا الائتلاف.. أن اعترف حزب أتاتورك.. بحزب إسلامي في تركيا.. شريكاً له في حكم تركيا. وكانت هذه مفارقة تحدث لأول مرة في تاريخ تركيا الحديث.

وفي أثناء غياب رئيس الوزراء عن البلاد، وتصاعد إرهاب اليونانيين للأتراك في قبرص.. أمر اربكان قائد الجيش باحتلال المناطق التي يسكنها الأتراك لحمايتهم من بطش جيرانهم.

حاول اربكان فرض بعض قناعاته على القرار السياسي التركي، فقد أسهم في تطوير علاقات بلاده مع البلاد العربية، ونجح في حجب الثقة عن وزير الخارجية آنذاك خير الدين اركمان بسبب سياسته المؤيدة للكيان الصهيوني، واتبع ذلك مباشرة بتنظيم مظاهرة ضخمة في مدينة قونية ضد القرار الصهيوني بضم مدينة القدس، كانت المظاهرة من أضخم ما شهدته تركيا في تاريخها المعاصر؛ الأمر الذي اعتبر استفتاءً على شعبية الإسلام السياسي بزعامة اربكان، وبعد بضعة أيام تزعَّم قائد الجيش كنعان إيفرين انقلابًا عسكريًّا أطاح بالائتلاف الحاكم، وبدأ سلسلة إجراءات كان من بينها إعادة القوة للتيار العلماني، ومن ذلك تشكيل مجلس الأمن القومي وتعطيل الدستور وحل الأحزاب واعتقال الناشطين الإسلاميين إلى جانب اليساريين، وكان اربكان وزملاؤه من بين من دخلوا السجن آنذاك.

- خطة العمل الجديدة

ذهبت أزوره وأبارك له خروجه من السجن.. وبدلاً من أن يحدثني عن سجنه أخرج ملفاً وعليه عنوان: خطة العمل الجديدة.. هكذا كان يفكر الرجل.. يفكر بعمله قبل أن يفكر بنفسه.

وفي عام 1983م أسس اربكان وزملاؤه حزب الرفاه الوطني.. الذي أصبح في انتخابات عام 1996 الحزب الأول في تركيا.

إصرار لا يعرف اليأس.. وقوة لا تُرهبها السجون أو المعتقلات.. ورهان دائم على النصر.. ومعناه في قاموسه.. عودة الإسلام من جديد إلى تركيا.. وانهيار الحملة الظالمة التي تحارب الإسلام والمسلمين.

شكل اربكان مع تانسو تشيللر زعيمة حزب الطريق القويم.. وزارة ائتلافية.. وأصبح اربكان بموجبها رئيساً للوزراء.. حقق اربكان مجموعة من الأمور التي لم يستطع في السابق أن يحققها.. فقد قام بزيارات إلى بلدان العالم الإسلامي مثل مصر، ونيجيريا، وماليزيا، وباكستان، وإيران، وبنغلاديش، وإندونيسيا.. وشكل بهم مع تركيا (المجموعة الثمانية الاقتصادية).. ولقد عرضت أمريكا على اربكان مليارات الدولارات مقابل أن يتوقف عن تشكيل هذه السوق الاقتصادية الإسلامية فأبى.. وكانت هذه المجموعة من أسباب إسقاط اربكان من رئاسة الحكومة.

- وفي عام 1998م تم حظر حزب الرفاه بتهم مختلفة منها انتهاك مواثيق علمانية الدولة، ومُنع اربكان من مزاولة النشاط السياسي لخمس سنوات، فأسس حزب الفضيلة بزعامة أحد معاونيه، وتعرض هذا الحزب للحظر هو الآخر في عام 2000م.

وفي عام 2003م أسس اربكان حزب السعادة، وهو الحزب الخامس ضمن مجموعة (مللي جوروش) أو الحركة الإسلامية في تركيا.. والذي مازال يعمل حتى الآن.

قال اربكان مرة: إذا سألني ربي يوم القيامة، ماذا فعلتم للإسلام؟ نقدم له أحزابنا الخمسة.

- التجمعات الإسلامية

شكل اربكان مع قيادة التجمعات الإسلامية في أنحاء العالم الإسلامي.. منظمة تجمع كلمة المسلمين.. وتوحد مواقفهم، وتقارب مفاهيمهم السياسية والتربوية، وتهتم بشؤون الاقتصاد والمرأة.. وكنت أميناً عاماً لهذا التجمع.. الذي يلتقي قادته مرة في السنة.

وشكل مع قيادات العمل الإسلامي لجنة لتنسيق العمل فيما بينهم.. يلتقون فيها على مواقف موحدة.. وفكر موحد.

- اربكان وقضايا المسلمين في العالم

كان اربكان بالإضافة إلى قضايا تركيا التي كانت يوماً مركزاً للخلافة الإسلامية التي تنافح عن المسلمين في العالم وتحميهم من الاستبداد الغربي والتآمر الصهيوني.. مشغولاً بكل قضايا المسلمين..

- فهو الذي طالب قائد الجيش التركي بحماية الأتراك في قبرص.. والتي هي بالأساس جزيرة تركية.. مكنت بريطانيا أثناء احتلالها للجزيرة العناصر اليونانية على حساب الأتراك سكان البلاد.. تماماً كما فعلت بريطانيا بفلسطين عندما احتلتها ومكنت للمهاجرين اليهود على حساب الفلسطينيين الذين تشردوا في الآفاق.

- وعندما حاولت يوغسلافيا التهام البوسنة والقضاء على المسلمين فيها.. عقد اربكان مؤتمراً إسلامياً لنصرة البوسنة في استانبول، حضره القائد المسلم علي عزت بيغوفتش.. ووضعوا خطة لنصرة البوسنة وإمدادها بما يلزمها من مال وغذاء وسلاح.

- أما أفغانستان التي احتلها الروس وعاثوا في أرضها وسكانها الفساد.. فعندما خرج الروس.. رأى الأستاذ اربكان أن القتال ينبغي أن يتوقف وأن يتسلم المجاهدون السلطة.. يومها بعثني مع الأخ اوغوزخان أصيل تورك برسالة منه إلى رئيس الدولة.. ووافق الرئيس على طلب اربكان.. وهكذا دخل أحمد شاه مسعود القائد الميداني الأفغاني، كابول بأقل الخسائر..

لم يكن اهتمام اربكان بأفغانستان السياسية فقط.. بل ولقد كنت معه في زيارة إلى بيشاور وزيارة الجرحى في المستشفيات وسؤاله عن أحوالهم وأعطى لكل مجاهد من هؤلاء مبلغاً من المال يساعده على نفقات أهله..

- وقل مثل ذلك في بلاد القوقاز وآسيا الوسطى، فقد استأجر الأستاذ اربكان طائرة.. بدأت بأذربيجان.. ومرت على كل دول آسيا الوسطى.. التقى في هذه الرحلة.. مع الرؤساء وحاورهم في مستقبل بلادهم وأن هذه البلاد ينبغي أن تعود لأصالتها الإسلامية.. ولا يعني تحررها من الاستعمار الروسي.. انقيادها للاستعمار الأمريكي.
- وفي دافوس التي يقصدها السياسيون والاقتصاديون من أنحاء العالم لاتخاذ القرارات المناسبة لخدمة الرأسمالية العالمية التي يتحكم فيها اليهود.. في دافوس أعلن أمام الأوروبيين والحضور عامة.. ودعا إلى تعاون إسلامي أوروبي.. تعاون يحفظ الحقوق.. وينهي الاستعباد.. ويعطي لكل ذي حق حقه.. كانت صراحة في دافوس لم يسبقه أحد إلى مثلها.
- أما فلسطين.. فهو يعرف أن السلطان عبد الحميد أسقطه اليهود.. ولم يستطيعوا أن يستولوا على فلسطين إلا بعد أن صار عبد الحميد في معتقله ينتظر الموت في منفاه.. وكذلك فعل اربكان.. فقد أفهم العالم.. والمسلمين من قبل أن الصهيونية هي رأس الداء.
- يوم فتح استانبول

كان اربكان يجمع قاد المسلمين من أنحاء العالم للاحتفال بفتح استانبول.. عاصمة الإسلام يوم فتحت، وعاصمة الإسلام يوم يحكم الإسلام مرة أخرى..
لم يكن اربكان سياسياً مسلما ليجلس على كرسي الوزارة.. ولم يكن مفكرا ليكتب كتباً.. بل كان عظيما في السياسة، رائعا في الأداء، عميقا في الفكر.. فهو ابن زمانه.. وقلما يجود الزمان بمثله..

- جنازته تخرج من مسجد الفاتح

ولقد كانت جنازته في مسجد الفاتح في استانبول.. رمزاً لهذه العظمة فقد حضرتها الملايين.. وحضرتها وفود من أنحاء العالم الإسلامي.. تماماً كما قال الشاعر:

علو في الحياة وفي الممات لعمري تلك إحدى المعجزات

شارك في جنازته الرئيس عبد الله جول، ورئيس الوزراء رجب طيب اردوغان الذي قطع زيارته لأوروبا لحضور جنازة المعلم والمؤسس للحركة الإسلامية الحديثة في تركيا.. ورفيق دربه رجائي كوتان وأوغوز خان اصيل تورك وشوكت كاظان وأحمد تكدال وفهيم أضاك ومحمود أفندي النقشبندي، إلى جانب زعماء وقادة إسلاميين من أنحاء العالم.. على رأسهم المرشد العام السابق للإخوان المسلمين الأستاذ محمد مهدي عاكف، والدكتور سعد الكتاتنة، والدكتور محمود عزت، والأستاذ يوسف ندا، والأستاذ غالب همت، والمهندس علاّن بلال، والأستاذ إبراهيم منير، ومحمد الحمداوي وسعد الدين العثماني (من المغرب) وإبراهيم المصري (من لبنان)، والقاضي حسين أحمد أمير الجماعة الإسلامية السابق (باكستان)، ومصطفى محمد الطحان الأمين العام لاتحاد المنظمات الطلابية، والدكتور أحمد عبد العاطي الأمين العام للإفسو، والأستاذ إبراهيم الزيات والدكتور أيمن علي والدكتور شكيب مخلوف من اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا، والأخ محمد نزال (من حماس) وصديق حسن خان من الجماعة الإسلامية في الهند، والدكتور عمر زبير من السعودية والأستاذ علي صدر الدين البيانوني (المراقب العام السابق للإخوان المسلمين في سوريا، والدكتور محمود الأبياري.
وكان من جملة المشيعين عدد من كبار قادة الجيش التركي، ورئيس جمهورية قبرص التركية (درويش اراوغلو) وعدد آخر من الوزراء ومن قادة المعارضة، بالإضافة إلى أعداد أخرى من مسؤولي العمل الإسلامي في البوسنة، والسودان، والكويت، ومصر، وأفغانستان، وأذربيجان، والمغرب، والجزائر، وماليزيا، والهند، وباكستان، وإندونيسيا، وفلسطين، وغيرها.
قد أكون أكثر الناس حزناً على الرجل العظيم.. من بين الملايين التي شيعته، فقد جمع الحب بين قلبينا، وقارب الحب في الله بين الشاب الأصغر والقائد الكبير.. والثقة المشتركة التي كانت تقارب بين قائد عظيم وشاب يتعلم من قائده.

- حياة اربكان باختصار

ولد اربكان عام 1926م في مدينة سينوب على ساحل البحر الأسود، وهو من نسل أمراء السلاجقة، الذين عرفوا في التاريخ، وكان جده آخر وزراء ماليتهم، وكانت أسرته تلقب بآل الوزير.
بدأ أربكان حياته بكل همة وجد وكان متفوقا في دراسته، فقد أنهى دراسته الثانوية في عام 1943 م، ليلتحق بكلية الهندسة الميكانيكية في استانبول والتي تخرج منها سنة 1948 م وكان الأول في دفعته، مما أهله لأن يكون معيدا فيها.وفي عام 1951 م أرسل في بعثة إلى ألمانيا لينال في عام 1956 م شهادة الدكتوراة في هندسة المحركات، وعمل أثناء وجوده بألمانيا رئيساً لمهندسي الأبحاث في مصنع محركات الدبابات التي تعمل بكل أنواع الوقود.
وفي عام 1965م عاد اربكان إلى تركيا ليعمل أستاذا في الجامعة. وكان عمره 29 عاما، وكان أصغر أستاذ جامعي في تركيا آنذاك، وهو أول صانع لمحرك ديزل (الموتور الفضي) ولا تزال الشركة المصنعة تعمل على إنتاجه حتى الآن.
وفي عام 1968م انتخب اربكان رئيساً لاتحاد الغرف التجارية والصناعية.. وبسبب ترأسه هذا الموقع الحساس ثارت ثائرة الدوائر العلمانية والصهيونية وهاجموه.

وأصبح رئيسا لاتحاد النقابات المهنية، ثم انتخب عضوا في مجلس النواب عن مدينة قونية.

- الرمز الذي افتقده الجميع

أجمع رموز الدولـة وقادة المجتمع التركي على أن نجم الـدين أربكان لم يكن فقط عميـد الحركة الإسـلامية؛ ولكنه مثَّل قيمـة وطنيـة وفكريـة لـدى جموع الأـتراك، بما أداه من أدوار محوريـة وإستراتيجيـة في تقـدم تركيا؛ ما جعل رحيله مصابًا كبيرًا لدى عموم الشعب التركي.

ولقد نعى رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان أربكان بقوله: لقد كرس أربكان حياته للتعليم والتعلم، وقدَّم كـل حيـاته لأجـل تركيـا، وكـانت له مكانـة كبيرة جـدًّا، وهو نموذج ومثـال لكل الأجيال كإنسان وزعيم وأسـتاذ، وما تعلمناه منه مهم جدًّا، وسنظل نتذكر شخصيته المجاهدة.

وقال عبد الله جول، رئيس جمهورية تركيا: تلقيت خبر وفاة البروفيسور أربكان بتأثر شديد، أشـعر بالحزن الشديد على فقـد رجل العلم والسـياسة والدولـة، فالعزاء لكل أمتنا، فقد كان أربكان زعيمًا مثاليًّا، حاز تقدير شـعبه وحبه بالخدمات التي لن تُنسى أبدًا، فهو أهم الشخصيات السياسية في تاريخنا.

لقـد عملت فترات طويلـة معه عن قرب في كثير من الأعمـال بكـل سـعادة، وليس هنـاك شك أنه ترك بصـمته في تاريخنا الحـديث، فالبروفيسور أربكان جعل كل حياته لأجل خدمـة الأمـة في كل المناصب التي تولاها، وهو صاحب مساهمات قيمة في تنمية كل المجالات وتطويرها في تركيا، وإننا ننعى البروفسيور أربكان دائمًا بالحب والامتنان والاحترام، وأسأل الله عز وجل أن يرحمه، وأعزِّي أمتنا وعائلته وكل محبيه من حزب السعادة.

ومن جانبه، قال رجائي قوطان، رفيق درب المجاهد نجم الدين أربكان ورئيس حزب السـعادة السابق: لقد كان همُّ أسـتاذنا أربكان هو فقط الأمة الإسلامية، وفي كل مراحل حياته ما كان يفكر إلا في خدمة العالم الإسلامي وتركيا، ولقد كان آخر حديث لي معه عن مستقبل الأمة الإسلامية وتركيا خلال الانتخابات القادمة.

وتحدث عنه ياسين خطيب أوغلو، مساعـد رئيس حزب السـعادة، فقال: لقـد فقدنا زعيمًا عالميًّا، لقد فقدت الأمة الإسلامية رجلاً كبيرًا، رفض أثناء وجوده في المستشفى تحذيرات الأطباء.. فقد كان في جلسات عمل مستمرة.

وقال رئيس حزب الوحـدة الكبرى، يالجين توبجو: نعزي بكل أسـى تركيا في وفاة البروفيسور نجم الـدين أربكان، الـذي يعـد أحـد رموز الحياة السياسـية والديمقراطيـة التركية، فلقد أمضـى عمره لغاية واحدة؛ وهي الارتقاء بهذا البلد، مدافعًا عن دينه وقيمه.

صور من تشييع القائد المسلم نجم الدين أربكان